

الفيضانات تخلف خسائر مادية وبشرية بإقليم تازة



والتفت محتوياتها وساهمت في إلحاق خسائر مادية جسيمة بعشرات المنازل، سيما المشيدة بطريقة تقليدية من اللبنة أو الأواح الترابية والقصب، بعدما غمرت المياه جدرانها بعلو يزيد عن متر واحد أحيانا وأقل منه أحيانا أخرى، وتراكمت بها الأوحال مما جعل بعضها يتعرض للسقوط، تقول سيدة مظلقة: لقد استيقضت منتصف الليل على أصوات إمام المسجد بنادي عليهم، وطلت أن الأمر بسيط، ولما خرجت رفقة أبنائها غمرت المياه مسكنها وإنهار حلالا، وأنها لم تسجل من طرف أية جهة ولم تتلقى أي دعم يذكر من طرف أية جهة، كما جرفت ليلة الخميس - الجمعة 24 أكتوبر العديد من رؤس الأغنام والأبقار، والذواجن الأخرى بكل من تادرت و أكنول، حيث سجل نفوق أزيد من 94 رأسا من الغنم والماعز بمنطقة الحمازي بجماعة تادرت، والعشرات بمناطق ودواوير مختلفة بها، وفقدان العشرات من رؤس الأغنام والأبقار و أفواج من العشرات بالمداشر التابعة لها، و اقتلعت الأشجار و انقلبت الزراعة من حبوب و خضروات و تعرضت السواقي للردم و الإتلاف و انقطعت المسالك عن معظم الدواوير بدائرة أكنول، و جماعات رأس القصر و بركين و الصباب و تادرت بدائرة جرسيف.

و يحكي أحد أبناء منطقة الحمازي لم يسبق لي أن شهدت مثل هذه الأمطار إطلاقا، و أجدادي بدورهم لم يسبق لهم أن تذكروا ذلك، فإمياه جرفت قلعنا من الموشي، و السلطة المحلية حضرت إلينا و سجلت ذلك كله، لكن لم نتوصل بعد بأية مساعدة، و من جهته طالب رئيس بلدية أكنول مختلف الجهات المعنية بالتدخل العاجل لدعم سكان دائرة أكنول موضحا أن قدرات البلدية لا يمكن تغطي الكل بالنظر لحسامة الأضرار اللاحقة بها و بسكانها الفقراء، مؤكدا أنه يتابعه عن كثب مجموعة من الأشغال التي انطلقت بالمناسبة، في حين صرح لنا فلاح مقدم من وقع الفاجعة لم يبقى لنا لوز و لا زيتون و الكل جرفته الأمطار، فقد اصبحنا فقراء بين عشية وضحاها، و أن الزيارات المحلية و الإقليمية لم تاتي لنا بجديد، فنحن مجرمون من الدعم الذي يمنح لمختلف الجهات بالملكة و بتعريف شديد اللهجة تكلم شخص آخر لم يسجل أحد من المسؤولين سقوط منزلي و إتلاف حقلي، لينا الله، لينا الله، لينا الله...

■ البلاسمي الإدريسي.



كانت الضحية رفقة زوجها و ابناؤهما مستعملين الطريق الوطنية الرابطة بين تازة و الحسيمة، إلى أن فوجئ زوجها الذي كان يتولى سيطرة السيارة بالمياه تغمرها عن آخرها. و بعد ذلك لقي ستة أشخاص من أسرة واحدة مصرعهم تحت انقاض مسكنهم صبيحة ليلة الأحد - الإثنين 27 أكتوبر بالتجمع السكاني المسمى إمدجان بدوار أزيزا التابع للجماعة القروية بركين، دائرة جرسيف في إقليم تازة، و كان أفراد الأسرة المتحدرين من قبيلة بني بونصر، و التي تتكون من الأبوين و أربعة أبناء نياما بمسكنهم التقليدي المشيد من الواح ترابية بالقرب من مرتفع جبلي، مما جعل الأمطار العاصفية تتسبب في انهيار الأحجار و الأوحال من المرتفع فوق منزل الضحايا و دمرته عن آخره، و كان جيرانهم قد استيقضوا صباحا و لما شاهدوا أكواما من التراب بدل المنزل المهود توجهوا فوراً إليه، إذ أفاد أحد أبناء المنطقة على لسان الشخص الأول الذي حضر للفاقة: لم أعرف ما وقع للحد الآن، كل ما أتذكره أن الدهشة لم تغارقني، محملا مسؤولية التازة للسلطات و المنتخبين، متسائلا عن مصير الإبن الوحيد الذي نجا لكونه كان يتابع دراسته الإعدادية بمدينة جرسيف، مضيفا أن الشكوك و رخصة النقل اللذين تسلمهما من لدن السلطات الإقليمية لا تكفي لجبر الضرر الذي لحق به و هو في سن المراهقة. و عشية نفس اليوم - الإثنين - لقي شخص آخر مصرعه بجماعة تيزي و سلي بدائرة أكنول بعدما تسببت صعوبة أحوال الطقس في سقوطه بغير بالمنطقة، إذ أفاد مصدر مطلع أن الأمر يتعلق بسقوط عرضي، لكن ساهمت فيه أحوال الطقس السيئة، و عدم احترام نظم الأبار.

كما كان عامل إقليم تازة قد أشرف بجماعة الصباب على تسليم عدة مواد غيبية مختلفة و رخصة النقل من صنف سيارة الأجرة و شيك بنكي يحتوي على مبلغ و صاف بالمهم، للطفل النديم البالغ من العمر إحدى عشر ربيعا، الذي كان قد فقد جميع أفراد أسرته إبان الفيضانات الأخيرة بالجماعة القروية بركين بإقليم تازة، كما تعهد أي عامل الإقليم بالبحث عن الكافة المألومة للحصول العم الشقيق للطفل الذي يشتغل بصفوف القوات المساعدة على انتقال من مدينة تطوان إلى مدينة جرسيف من أجل أن يكون قريبا منه، و أن يعمل عمالة إحضائه، و عمل على إستقباله بمقر عمالة تازة نهاية الأسبوع المنصرم حيث سلم له مجموعة من المساعدات المادية و المعنوية، بعد أن زاته بمقر سكانه أي الطفل النديم مجموعة من الوفود الإدارية و طبيب مختص في الأمراض النفسية.

■ خسائر مادية عمومية بالجملة

كشفت الفيضانات الأخيرة عن سوء أحوال البنية التحتية بالإقليم سواء تعلق الأمر بالأحياء القديمة أو الحديثة، و بالقري، حيث سجل انهيار قنطرة سبت بوقال بالجماعة القروية أحد اجبارة على الطريق الوطنية الرابطة بين تازة و الحسيمة، و تصدعت قنطرة أخرى بمزكيتام، إضافة إلى العزلة التامة التي تعيشها ساكنة جماعة رأس القصر نتيجة جرف مياه نهر مللوا للقنطرة الكافئة بسطح المغاسل خلال أول فيضانات شهدتها المنطقة، كما توقفت حركة المرور بمناطق مختلفة بالإقليم، أبرزها بالطريق الإقليمية الرابطة بين جرسيف و بركين على مستوى نهر زبيط، حيث يتم حاليا تشييد قنطرة جديدة بعدما تم إزالة القنطرة السابقة من مكانها على أساس أن تبنى الجديدة على أنقاضها، مما جعل مياه النهر تجرف القنوات الترابية المستعملة به و التي وصفها السكان بالحل الفاضل للربط بين المنطقتين، و في ذات الموضوع حملت الساكنة مسؤولية الوضع للجهات المسؤولة التي رخصت و سمحت للجهة ما يتفكك أجزاء القنطرة السابقة من أجل إعادة بيعها دون سند قانوني، موضحين أنها كانت تستعمل و وضعها جد مناسب، و في اتصال هاتفي مع أحد أعضاء المجلس القروي لجماعة بركين أفاد أنه: لم نفقى بركين أية جماعة تذكر، فالعزلة تامة و في أوجها و الأشخاص الذين عهدت إليه الأمور لم ينفخوا البلدة في شيء، و أن القنطرة لا حق لأحد بأن يعمل على إزالتها و الأخرى لا تزال في عالم الغيوب، فكل ما في المسألة أن القنطرة الأصلية كانت تتكون من حديد من النوع الجيد، مما يحتمل معه أن تكون أجزؤها قد بيعت في السوق السوداء، كما توقفت حركة المرور لمد مختلفة تتراوح بين



عدم الإستجابة لهم يتم اتخاذ الاحتياطات اللازمة من أجل تفادي وقوع ما لن نحمد عقباه.

و أشعرت مجموعة من سكان المداشر و الأحياء المجاورة للأودية و المهدة بالفيضانات بعدم المثل للنوم في الليالي المظلمة، و من بينها أحياء ميمونة و المحلة و الشلوح بتازة و حرشة لاكار بتادرت و مناطق أخرى هامشية، كما أذرت السلطات الإقليمية إلى الوضعية الخطيرة التي توجد بها ساكنة حرشة لاكار بقيادة تادرت، موضحا أن بقاءها على الحال قد يسبب في وقوع كارثة خطيرة في المستقبل، و في المناطق المعزولة ليلة العاصفة يقول أحد السكان لقد كان الوقت متأخرا و لم نجد بدا من التوجه إلى إمام المسجد ليناوي على السكان من أجل الإستيقاظ، إلا أنه رفض في البداية، و لما بلغت السيول جدران مسكنه توجه على الفور إلى مكبر الصوت و أشعر الجميع.

و في قطاع التجهيز تجند الجميع من أجل إعادة الأمور إلى نصابها، و اتخذت في ذلك ثلاثة أولويات، أولها إعادة فتح الطرقات المقطوعة، و التحويل المؤقت بالنسبة للقنطرة المهتدة، ثم إزالة الأتربة و الأوحال بواسطة الحرافات و المستخدمين و ترميم الجنبات المتأكلة و وضع علامات التشوير اللازمة في مختلف النقاط المتضررة، ثم وضع دراسات مستعجلة للقنطرة المهتدة من أجل إعادة بنائها في أقرب الأجال، و هكذا تم إصلاح قنطرة مزكيتام و وضع قنطرة مؤقتة بأحد اجبارة، كما أعطيت تعليمات صارمة للمقاول المشرف على بناء قنطرة بركين من أجل السهر على ضمان استمرار حركة المرور عبر وضع معبر مؤقت و في حالة ارتفاع صبيب النهر العمل على نقل الركاب على متن الجرافة.

و من جهتها، عملت منظومة الصحة على فتح الديمومة بمجموعة من المراكز القروية لمدة ثلاثة أيام تحسبا لأي طارئ، كما وضعت رهن إشارتها سيارات الإسعاف التابعة لها، و قد اسقيلت المستشفيات مجموعة من المرضى الحاصلين بإنخاض أو ارتفاع الضغط الدموي و حالات أخرى، في حين وضعت المديرية الإقليمية للفلاحة رهن إشارة الفلاحين آلياتها من أجل إعادة فتح المسالك و تنقية أراضيهم من الحصى بعد ادائهم لمستحققات البززين.

■ ثمانية قتلى بالإقليم

في البدء لقيت سيدة حامل مصرعها غرقا في وادي تازة شمال المدينة ليلة الأربعاء - الخميس 1 أشتنبر، فيما نجى زوجها و الأبناء الصغار بأعجوبة بعدما جرفت المياه سيارتهم، و تم العثور على جثة الهالكة بعيدة على مكان الإنجراف، و في حالة



في وقت سابق شدد البرنامج الوطني للوقاية من مخاطر الفيضانات على وجوب الإهتمام بالشطر المستعجل الذي يضم 50 نقطة سوداء مهتدة بالفيضانات، و من ضمنها مدينة تازة، حيث يوجد أزيد من 160 ألف شخص مهدد بمخاطر غضب الطبيعة، كل هذا من أجل أن يستيقظ المسؤولين و يتذكروا آخر فيضانات خطيرة أصابت تازة و خلقت بها قتلى و مفقودين منذ أزيد من ثمانية سنوات، حيث غمرت الأوحال و الأتربة شوارع المدينة و اختبرت الثكنة العسكرية و القت بالدخيرة و الأسلحة بالوادي، مما جعل الجنود يبحثون عن بقاياها على ضفافه، كما خلفت خسائر بمختلف الميادين، و أصدرت بالمناسبة عدة توصيات دون أن تصل إلى حيز التنفيذ، و بعد ذلك جاءت فاجعة شتنبر و أكتوبر 2008، لتذكر الجميع من جديد.

فأول أمطار عاصفية عرفها المغرب هذه السنة، تلك التي أصابت إقليم تازة في النصف الأول من شهر شتنبر، و أغرقتها في مسبح من الماء و الأوحال، و تحولت الأزقة و الشوارع إلى سيول جرفت مجموعة من معدات النظافة و تجهيزات مختلفة، و بعد تحسن المناخ استمرت البرك و الأخاديد و المستنقعات بمختلف الطرق، و امتد شريط الدمار لشمال الأقليم و شرقه في الأونة الأخيرة، فانهارت القناطر، و انقطعت المسالك و الطرق، و جرفت السيول مئات رؤوس الأغنام و الماعز و الأبقار و الدواجن، و تهدمت المنازل و التلقت الحقول و المزارع و الحقت الخسائر بالمنشآت العمومية، كما خلفت مرضى و قتلى.

■ احتياطات فوق العادة

ارتفعت عدد تدخلات عناصر الوقاية المدنية بكل من تازة و جرسيف، و تجاوزت معدل تدخل واحد كل ساعة، و تمكنت من إنقاذ عشرات الأشخاص من موت محقق بنقط مختلفة، إذ يحكي أحد العناصر الذي تمكن من إنقاذ أربعة أشخاص على متن سيارة من نوع مرسيدس لمسؤولة الإقليمي أمام الجميع: لقد كان الصبيب جد مرتفع و لما رأيت المياه قد جرفت السيارة و على متنها أربعة أشخاص، أدبت الشهادة رفقة زميلي في العمل و ارتيمنا خلفهم، و كانت الموت صوب أعيننا، لكن في النهاية تمكنت من إنقاذهم، و كانت هذه العناصر تتواجد في الأماكن التي تنقطع بها حركة المرور، حيث تقدم إرشادات و نصائح للسائقين للتوقف عن عبور السيول ذات الصبيب المرتفع، و في حالة